

ابو الحسن علي بن الحسين الندوي

الفتح للعرب المسلمين

ملتزم النشر و التوزيع

المجمع الاسلامي العلمي

ص . ب - ۱۱۹ ، ندوة العلماء.

لكناؤ (الهند)

من مطبوعات مجمع الاسلامى العلمى . - اكناف (الهند)

رقم - ٢٢٨



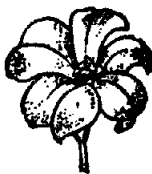
الطبعة الثانية

١٩٩٠م - ١٤١٠هـ



قام بالنشر

محمد غياث الدين الندوى



المطبعة الندوية

(AP-3N: 50)

ندوة العلماء - لكاناف (الهند)

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

الفتح للعرب المسلمين

لا شك أن اليهودية العالمية قد نجحت نجاحاً فوق الحساب في تحقيق مراميها و أهدافها الكثيرة ، التي ظلت آلافاً من السنين تحلم بها ، و في تطبيق مخططاتها الكثيرة ، التي كانت تعتبر ضرباً من غرائب الهوس و طرائف الجنون في سهولة و يسر ، لم يكن يتخيلها أحد ، لا العرب ولا اليهود أنفسهم .

فقامت دولة « إسرائيل » في قلب المنطقة العريضة الإسلامية المقدسة ، و بقيت جاثمة على صدر العرب و المسلمين ، و استطاعت بنفوذ اليهود العالمي أن لا تحتفظ بكيانها فحسب ،

بل لم يزدما الزمان إلا قوة واستحكاماً ، ثم استطاعت أن
تنتصر على أعظم معسكر عربي و أغنمه عدة وعتاداً ، و أن
تحطم قوته الجوية ، و أكثر خطراً من ذلك أنها أضعفت
قوة إرادة الشعب و روح مقاومته في بضع ساعات في
الخامس من حزيران ١٩٦٨م ، و استولت على القدس ،
و على الضفة الغربية ، و على شبه جزيرة سيناء ، و أصبحت
قناة السويس ، و كثير من مدن مصر الساحلية مهددة معرضة
للخطر الاسرائيلي ، و توغلت في الأراضى السورية و استولت
على عدد من المواطن الاستراتيجية المهمة ، و استطاعت أن
تضرب عدة مطارات عربية في جراءة و وقاحة ، و هي الآن
تحلم بالاستيلاء على هذه المنطقة العربية كلها ، و تهدد
الاماكن المقدسة في قلب الجزيرة ، و يتحدث بعض زعمائها
باسترداد ما فقدوه أبأؤهم من حصون و مستعمرات يهودية
في الجزيرة العربية ، و جلوا عنها في المد الاسلامي الاول ،
بل يبنى اليهود أنفسهم بأن يصبحوا يوماً من الأيام السطوة
العالمية التي تملى أوامرها ، و تفرض إرادتها على الرؤساء

و الوزراء ، و القادة و الزعماء في العالم كله ، و تحقق الحلم
البعيد الذي رآه الريون في التلود ، و حكماء صهيون في
بروتو كالاتهم .

فهل يدوم هذا الوضع ؟ و هل تحقق الصهيونية ما بقي
من أحلامها و مخططاتها ؟ و هل يترك العرب و المسلمون
تحت رحمة هؤلاء الطامحين ، و هل يفسح لهم المجال ، و يرخي
لهم الحبل ، حتى يستولوا على العالم كله ؟ و يحققوا أغراضهم
و ما يدينون به من فلسفات ، و أفكار و نظريات ؟ و هل
يمنحون القيادة للنوع البشري ، و تتاح لهم الفرصة في توجيهه
كما أتحت لرسالات و فلسفات ، أو قوى و طاقات ، أو مدينيات
و حضارات في الزمن السابق ؟

إننا لا نستطيع أن نجيب عن ذلك جواباً حاسماً ، حتى
نقف وقفة قصيرة أمام هذا الكون الفسيح البديع ، و ما
عرفنا عن خالقه و مبدعه ، و أسمائه و صفاته ، و أفعاله
و إرادته ، و سنته و قوانينه ، و أمام التاريخ البشري و ما
وصلت إلينا من تجاربه و حوادثه .

ولا نستطيع أن نحكم في ذلك بشئ حتى نحكم على السلالة البشرية ، ومدى صلاحيتها ، والطبيعة البشرية ، ونصيب الخير و الشر فيها ، ونحكم على مستقبل الجيل البشرى ، ومصير هذا العالم .

فاذا قررنا أن خالق هذا الكون ، الحكيم العليم ، لم يخلق هذا الكون وهذا الكوكب الذى نساكنه إلا للفساد والدمار ، والفوضى والانحلال ، والظلم والقسوة ، والوحشية والهمجية ، والمؤامرات والديساس ، ولم يهتم به هذا الاهتمام - الذى يتجلى في جميع مجالاته من إبداع وإتقان ، وحسن وجمال ، وترتيب وتنسيق ، ويتجلى في إرسال الرسل وإزالة الكتب حيناً بعد حين ، وإلهام المصلحين ، ونصر الصالحين الصادقين ، وإدالة الخير من الشر ، وتغليب الصلاح على الفساد جيلاً بعد جيل - إلا لسيطر عليه عنصر ينتمى إلى بعض الأندياء فى أقدم العصور ، وتجرى فى عروقه قطرات من دمهم ، لاترى بأدق مكبرة بيولوجية ، ولا تحسب بأكبر مهارة رياضية ،

وتهيمن عليه وعلى جميع طاقاته ، و ذخائره و ثرواته
سلالة بشرية واحدة ، هي « شعب الله المختار » و الأسرة
الالهية المقدسة .

و إذا قرنا أن هذه السلالة البشرية الكريمة ، هي
الخلية البشرية الوحيدة ، التي خصها الله بجميع الطاقات ،
و بجميع المواهب ، و قد ارتكزت فيها كل صلاحية ،
و كل عبقرية ، و كل إبداع ، أما الخلايا البشرية الأخرى ،
التي تتكون منها النسل الانساني الذي يملأ العالم ، فهي خثالة
كخثالة الشعير ، و براية كبراية الأقدام ، مجردة عن كل جدارة
و صلاحية ، و قدرة على الإبداع و الانتاج و عن جميع
المواهب و المنح .

فالعنصر اليهودي له وحده الحق في السيادة و الحكم
على النوع البشري ، أما سائر الناس ، فيجب أن يساقوا

(١) وهو ما يحكيه القرآن من زعمهم وقولهم : ونحن أبناء الله وأحباؤه ،
(سورة المائدة ١٨) وأسفار العهد العتيق والتلويح مطروقة بهذه المزاعم
والصفات والنوعت لا يهتملها هذا المقال الصغير .

كما تساق قطعان البهائم الحقيرة ، وكل من عدا هؤلاء الأبناء المدللين ، والسعداء الموهوبين ، فقطع شطرنج يلعب بها الدهماء اليهود الأكرمون في قسرة ومهارة ، و يضربون بعضها ببعض ، و يغلبون بعضها على بعض ، و يهزمون بعضها أمام بعض ، و هي لا تملك من أمرها شيئاً .

و إذا قرنا أن الطبيعة البشرية ، هي الطبيعة الشريرة ، التي تفضل التدمير على البناء ، و الافساد على الاصلاح ، و هي متشائمة دائماً ، حقود ناقمة على العالم أجمع ، ساخطة على الماضي والحاضر ، نائرة متوترة تحمل الأحقاد القديمة و الجديدة ، و تنظر إلى كل قضية و حادثة بالمنظار الأسود ، و لا ترى إلا الجانب الضعيف في ماصنع الصانعون ، و بني البناؤون ، و خالف المخلفون ، متدمرة تضيق ذرعاً بكل شئ ، تحقر غيرها ، و هي في الحقيقة مصابة « بمركب النقص »

(١) يسميهم اليهود الاميين ، يعبر عنها اليهود بكلمة جوييم (Goyem) وبكلمة (Gentiles) ويراد بها غير اليهود ، ومعناها عندهم وثنيون . و كفره ، راجع معجم أكسفورد (الانكليزي) .

لا تعرف للسلالة البشرية كرامة ، و لالانسان شرفاً ،
ولا تعرف غاية أسمى من المادة ، و تحقيق الرغبات الخسية ،
تقسو عند الانتصار ، وتجن عند الهزيمة ، و تستخدم
جميع الوسائل للوصول إلى الغاية ، و لا تتورع عن أخس
الأعمال ، و أفحش الظلم ، و أخط الأخلاق ، و أوقح
نفاق .

و إذا قررنا أن العامل البناء الوحيد ، القوى المؤثر ،
في بناء المدنيات ، و صنع التاريخ ، و إسعاد البشرية ، و سياسة
الشعوب و الأمم هو الدهاء الخيث ، و المهارة الاجرامية ،
و اللباقة الهادمة المدمرة ، و الافساد بين الناس ، و القضاء
على الضمائر ، و فك نظام الأسرة و إشاعة الرذيلة
و الانحلال ، و إحداث الأزمات بعد الأزمات ، و أن
الوسيلة الأقوى التي سيطرت على مصائر الأمم ، و أعظم
حوادث العالم ، و غيرت مجرى التاريخ ، هي المؤامرات
الخفية ، و أن أكبر قوة يعتمد عليها ، هي الغدر ، و نكران
الجميل ، و اللؤم و الخسة ، و أن الخلق المحبب إلى الله

الضامن للغلبة والانتصار ، و العائد على البشرية بالسعادة
والهناء ، هو الكبرياء والآثرة .

و إذا قررنا أن مصير الانسانية حالك مظالم ، لا أمل
في سعادة و أمن و سلام ولا في إخاء و وئام ، و أنه
لا يزال ينتقل من حرب إلى حرب ، و من نكبة إلى نكبة ،
و من شوؤم إلى شوؤم ، و من ثورة إلى ثورة ، حتى ينتهى
إلى جهنم التي سعرتها الأغراض المتطاحنة ، والآحقاد
المتواصلة .

و إذا قررنا أنه ليس هنالك قضية رسالة و هداية ،
و قضية عقائد و مبادئ ، و قضية ضمائر و قلوب ، و قضية
أخلاق و فضائل ، و قضية دين مختار ، و شريعة مصطفاة ،
و منهج مفضل للحياة ، إنما هي قضية سلالة و نسب ، و دم

(١) و لذلك يصفهم القرآن ، بالمنضوب عليهم ، و جاء هذا الوصف في سورة
الفاتحة التي تتكرر و تجب قرائتها في كل صلاة ، ولا يتذوق هذه الكلمة
البلغة ولا يعرف مدى انطباقها على لليهود إلا من عرف سيرتهم و الدور
الذي لعبوه في تاريخ الانسانية .

و عرق ، و قضية ثارات و تراث ، و أحقاد و ضغائن ،
و استرداد لمجد ضائع ، و أرض مسلوبة أو محتلة ، و إشباع
لرغبة الطموح أو غريزة الاستيلاء ، و طبيعة الجشع .
إذا قررنا ذلك كله ، فلاشك أن اليهود هم المرشحون ،
المهيئون للسيادة و الغلبة ، و أن هذا الوضع سيظل ويدوم ،
و أنه لا يعوق عن توسعهم في الحدود ، و الامتلاك
والاحتلال ، و عن تحقيق مخططاتهم شتى ، فإنها هي الصورة
الحقيقية التي رأيناها فيما عندنا من أسفار العهد القديم ،
و في صحف التلمود ، و في بروتوكولات حكماء صهيون ،
و في ما وصل إلينا من خطب زعمائهم ، و محاضر جلساتهم
السرية ، و في ما تحقق من أعمالهم و إجراءاتهم ، منذ
استولوا على القدس و على المدن الإسلامية العربية .

و هي صورة الحقد و الاحتقار ، و النقمة و السخط
على البشرية ، و تقديس العنصر اليهودي ، و الدم
الاسرائيلي إلى حد التأليه ، و تجريد السلالة البشرية الباقية في
جميع أدوار التاريخ ، و في جميع أنحاء العالم عن كل جدارة

وصلاحية ، والتصميم على الاستيلاء على العالم كله ، لمصلحة اليهود وخدمهم ، والبغضاء المتأصلة في النفوس ، و الضراوة بالشر و الفساد ، كطبيعة أصيلة ، والعنف والعناد ، كأخلاق قومية ، وعادات موروثية ، و هي الصورة التي تقترن بتاريخهم اقتران المزاج بالانسان ، وترافقهم مرافقة الظل ، فالمؤامرة قوام تاريخهم ، وعماد حياتهم ، والقطب الذي يدور حوله نشاطهم وذكائهم ، وهم الرأس المفكر ، و العقل المدبر ، و الاصبغ المحركة في كل ثورة ، و في كل مؤامرة ،

(١) وضع بيامين دزرائيلي ، المورد بيكونز فيلد ، ورئيس وزراء بريطانيا المعطى اليهودى ، الملاحظة التالية على لسان سيدونيا ، بطله اليهودى ، و هي تصور اليهودى العالمى التصوير الحقيقى :

« ليس فى وسعك أن تلاحظ حركة فكرية عظيمة فى أوربا لا يكون لليهود فيها إسهام ضخم جداً ، فلقد كانت اليسوعيون الأوائل من اليهود ، و الدبلوماسية الروسية العاصفة التى تزعم الدول الأوربية الغربية يقوم على تنظيمها و تنفيذها اليهود ، و الثورة العظيمة التى تجرى إعدادها فى ألمانيا الآن و التى ستكون بمثابة حركة إصلاح دينى ثانية ، ولعلها أعظم من الحركة الأولى ، و التى لا يعرف عنها إلا القليل الآن فى انكلترا ، تتطور الآن ، و تنمو نمواً كلياً نحت إشراف اليهود ، (اليهودى العالمى لـ « هنرى فورد » ص ٦٦) .

و في كل مذهب هدام ، و في كل فلسفة مدمرة ، و في كل قلق يسود ، و في كل أزمة تحدث - اقتصادية كانت أو سياسية واجتماعية كانت أو خلقية - ولا أبلغ ولا أدل من كلمة نابغتهم الدكتور أوسكا لينى فى وصف شعبه « نحن اليهود ، لسنا إلا سادة العالم و مفسديه ، و محركى الفتن فيه و جلاديه » .

و ليست لليهود - و لم تكن فى دور من أدوار حياتهم - أى رسالة عالمية ، و طبيعة الرسالة العالمية لا تتفق مع تقديس العنصر و الدم ، و الغلو فى تعظيم سلالة واحدة ، و اعتقاد كل نزاهة و جدارة و صلاحية للتقدم الروحى ، و السمو النفسى ، و القرب من الله تعالى ، فى نسل واحد ، و أرومة واحدة ، و عدم الاقتناع بعقيدة المساواة البشرية ، و وحدة الأصل و الجنس فى بنى آدم ، و تكافؤهم فى فرص الرقى و التقدم ، و الظهارة و النزاهة و بلوغ أعلى درجات الإيمان و الاحسان ، و الرحمة و الرضوان ، فطبيعة تقديس العنصر و الدم ، و حصر النجابة و النبوغ ، و العبقرية

و العظمة ، و الاختصاص بخالق هذا الكون ، تعارض كل الممارسة ، العطف على النسل الانساني ، و الحماسة في نقل أفضل ما عندها من رسالة و سعادة إلى باقي البشر وسائر بني آدم ، و إشراكهم فيما عندها من علم ثابت ، و عمل صالح ، و أخلاق كريمة ، بل إن هذه الطبيعة تمنح بطبيعة الحال إلى تضيق دائرة الهداية و الدعوة ، و تحديدها في عصر واحد ، و في سلالة واحدة ، لذلك كان من الطبيعي أن الديانة اليهودية لم تكن في زمن من الأزمان دعوة عامة للخلق ، و لم يكلف اليهود - في ضوء من نصوص كتبهم المقدسة - بتبليغ الرسالة إلى الأمم جميعاً ، بل

(١) تقول السيدة الفاضلة المهتدية مريم جميلة Margaret Marcus اليهودية سابقاً في كتابها «الاسلام إزاء أهل الكتاب ماضياً وحاضراً» باللغة الانجليزية : « ليس أن اليهود لا يبلغون دينهم إلى غيرهم عملياً ، بل إنهم لا يرحبون بالدخول في ديانتهم و لا أعرف إلا مشايخ في تاريخهم الطويل حين دخل غير اليهود في اليهودية في عدد كبير ، كان ذلك مرة في اليمن ، في زمن سبق البعثة المحمدية ببضعة قرون ، ومرة ثانية حين اعتنق عدد من غير اليهود الديانة اليهودية في مملكة خوار التاتارية الاصل التي عاشت مدة قصيرة في روسيا ،

Islam verses - Ahl al Kitab Past and Present (22.23)

وردت نصوص تمتع عن ذلك ، وتحصر نشاطهم الدعوى في نطاقهم العنصرى المحدود ، و كان من الطبيعى و المعقول جداً أن يميزوا دائماً بين بنى إسرائيل و بين الشعوب و القبائل الأخرى ، و أن يضعوا للخير و الشر ، و البر و الإثم مقاييس مختلفة تختلف باختلاف السلالات و الشعوب ، و أن لا يتخرجوا من أكبر إجرام أو عدوان مع شعب آخر ، و ذلك ما أخبر به القرآن عنهم فقال :
 • ذلك بأنهم قالوا : ليس علينا فى الأيمن سبيل ، (١) و من الطبيعى و المعقول جداً أن تتعرض جميع الشعوب و السلالات التى يحكمها اليهود اكل اضطهاد و عسف ، و بخرس نصيب ، و تظنيف كيل ، لأنهم لا ينظرون إليها كأسرة إنسانية زميلة ، أو سلالة بشرية شريفة ، وإنما هى قطيع من الغنم ، أو مجموعة من عجماوات أو جمادات ، خلقها الخالق لتكون آلة صماء فى يد أبنائه المدللين .

(١) سورة آل عمران ٧٥ .

(٢) وهى نفس النظرة التى ينظر بها البراهمة و الفاتحون من الآريين فى الهند ★

إذن فالفطرة السليمة التي أودعها الله في غالب البشر ،
وما تحدثت الأديان و الشرائع ، و الكتب المنزلة عن
عدل الله و رحمته و حكمته و إرادته من صنع هذا الكون
— الفسيح البديع المنظم المنسق — و خلقه للجيل البشرى
و استخلافه و تكريمه ، و ما أودع في الأشياء من طبائع ،
و ما وضع نهضة الأمم و انحطاطها ، و قيام الحكومات
و سقوطها ، و ازدهار الديانات و ذبولها من سنن و قوانين ،
و ما تحقق عند جميع الأديان ، و الفطر السليمة ، و العقول
المستقيمة ، من أنه ليس رب سلالة و نسل ، و رب أسرة
و بيت ، و رب بلد و إقليم ، بل هو إله الجميع
و رب العالمين ، و رب المشارق و المغرب ، و ما ثبت في
التاريخ الانساني من أن الشعوب و الأمم إنما تحي
بالرسالات التي تحتضنها و الغايات التي تدعو إليها ، و الفضائل
التي تكافح في سبيلها ، و ما تحمل من إفادة و نافية ،

★ إلى سكان هذه البلاد القدماء ، و عليه نأسس نظام الطبقات في الديانة البرهمية
و في المجتمع الهندى و لا يزال هو النظام المتبع رغم جهود المصلحين
الثائرين منهم .

و غناء للجميع ، و ما نبه عليها القرآن الحكيم بقوله :
« فإما الريد فيذهب جفأ ، و أما ما ينفع الناس فيمكث في
الأرض كذلك يضرب الله الأمثال » .

إن كل ذلك يحتم أن اليهود الذين يتحدثون هذه
الحقائق ، و هذه الطبايع ، و هذه السنن و القوانين ،
و الغايات الكريمة التي خلق الله لها هذا الكون ، و أوجد
لها هذا الجليل البشري ، و ما يحبه من الخير و الصلاح ،
و من العمران و البقاء ، لا يتمتعون بفترة طويلة من السيادة
و السيطرة و العلبة و القوة ، و لا يمكنون من تحقيق
جميع آمالهم و أحلامهم ، و مشاريعهم و مخططاتهم الهادمة
المدمرة ، الأنانية السلبية ، ولو أيدتهم ألف حكومات ،
و كانت من ورائهم القوى الكبرى كلها في العالم ،
و لو توفرت عندهم كل الوسائل الجهنمية التي اكتشفها
المكتشفون في هذا العصر ، و التي برع فيها اليهود براعة

(١) سورة الرعد ١٧ .

ممتازة وسينتصر أهل الحق و حملة الرسالة العالمية الخالدة ،
التي تعطف على الانسانية كلها ، و تساوى بين الشعوب
و الامم ، و تنتصر للحق أينما كان ، و تحارب الظلم أينما
وجد ، يعيشون للانسانية و بالانسانية ، و لا يريدون علواً
في الارض و لا فساداً .

و قد كان للدهاء و المكر و الخديعة و الذكاء الذى

(١) أخبرت الاحاديث النبوية التي كادت تبلغ حد التواتر بأن اليهود يملغون في زمن
من الازمان الذروة في القوة ، والسيطرة في فلسطين ، و ينهض فيهم
الرجال الأكبر الذى يزعم هذه القوة و يتصرف في الاشياء ، و أنهم
سيجتمعون في مكان واحد ، ثم يتسلط عليهم المسلمون ، و يصفون فيهم
السيف و يهاديهم كل شئ حتى يتم عنهم الحجر ، و تبقى علماء السنة أكثر
من ثلاثة عشر قرناً يدارسون هذه الاحاديث في كتب للفن و الملاحم
و أبواب اشراط الساعة في كتب الحديث ، هي من أبعد الاشياء عن
الجنجال في عالم الاسباب و الواقع ، فاليرد — إلى هذه المدة — أذلاء
شعثون في الآفاق ، حتى بدأت هذه النبوة تتحقق في منتصف هذا القرن
المسحى الحاضر ، فنشأت وطن اليهود و قامت إسرائيل ، و حدث ما
حدث ، و ستحقق أواخر هذه النبوة كما تحققت أوائها ، و هي من المعجزات
النبوية التي تجلت بعضها و تبينت كاصبح ، و سينجلي الباقي ، و لله الأمر
من قبل و من بعد .

لا يقوم على احترام الانسانية ، ولا يقف عند الحدود العقلية
والخلقية ، و الذى يتجه دائماً إلى الأناية و السلية انتصارات
بهرت العقول و الالباب ، و غشت على العيون و الابصار ،
و شككت فى التاريخ البشرى ، و كادت تفقد الثقة بقوة الحق
و حسن العاقبة للصادقين المتقين ، و كانت لهذه القوة التخريبية
الماكرة جولات و صولات فى التاريخ حتى تحركت الجبال
الراسيات ، و اضطربت رجال الفلسفات و علماء الديانات ،
و قسد صور القرآن باعجاز هذه الساعات الدقيقة العvisية ،
و ما يتساب العقول و القلوب فى ذلك الوقت من حيرة
و اضطراب ، و شك و ارتياب ، و لا تصوير أبلغ من
تصوير القرآن : « حتى إذا استنشى الرسل وظنوا أنهم
قد كذبوا جاءهم نصرنا ، فنجى من نشاء ، و لا يرد بأسنا عن
القوم المجرمين ، » و قوله : « إذ جاءوكم من فوقكم و من
أسفل منكم و إذ زاغت الابصار و بلغت القلوب الحناجر
و تظنون بالله الظنوننا ، هنالك ابتلى المؤمنون و زلزلوا

(١) سورة يوسف : ١١٠ .

زلزالاً شديداً ، ١ .

وقد عالج القرآن هذه النفسية الانسانية التي تخضع دائماً للغلبة والقوة مهما كانت عارضة مؤقتة ، و مهما كانت ضعيفة مازلة ، فقال : لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد ، متاع قليل ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد ، ٢ . وقال : ما يجادل في آيات الله إلا الذين كفروا فلا يغرك قلبهم في البلاد ، ٣ .

و عالج كذلك النفسية الضعيفة التي تستسلم دائماً لدهاء دقيق ، و مكر محكم ، أو مؤامرة ناجحة ، فذكر مراراً و تكراراً ، أن مصيره إلى الانهيار و الافضاح ، و الحثيئة و الاخفاق ، و أنه كمنسج العنكبوت : و إن أوهن البيوت لبیت العنكبوت لو كانوا يعلمون ، ٤ ، و قرر أن الخير

(١) سورة الاحزاب : ١٠ - ١١ .

(٢) سورة آل عمران : ١٩٦ - ١٩٧ .

(٣) سورة المؤمن : ٤

(٤) العنكبوت : ٤١

لا ينتج من الشر ، و ما كان أساسه ضعيفاً متداعياً
للسقوط ، و لم يكن له أصل ثابت و لا جذور عميقة — في
الأرض الكريمة أو الفطرة السليمة — يكون البناء الذي
يقوم عليه مستعداً للانهار في كل لحظة ، فقال : « أم من
أسس بنيانه على شفا جرف هارقاته به في نار جهنم ، و الله
لا يهدي القوم الظالمين » ١ و قال : « و مثل كلمة خبيثة كشجرة
خبيثة اجثت من فوق الأرض ما لها من قرار » ٢ و قال
على لسان نبي الله موسى مخاطباً لجماعة السحرة : « قال موسى
ما جتم به السحر ، إن الله سيطله ، إن الله لا يصلح عمل
المفسدين » ٣ ، و قال يتحدث عن المكر و الدهاء في مختلف
الآزمته و الإمكنة كقانون عام خالد : « و لا يحيق المكر
السيئ إلا بأهله ، فهل ينظرون إلا سنة الأولين ، فلن
تجد لسنة الله تبديلاً ، ولن تجد لسنة الله تحويلاً » ٤ و قال :

(١) سورة البراءة : ١٠٩

(٢) سورة ابراهيم : ٢٦

(٣) سورة يونس : ٨١

(٤) سورة فاطر : ٤٣

« و الذين يمكرون الميئات لهم عذاب شديد ، و مكر أولئك هو بيور »^١ ، و أعلن حقيقة عالمية لا تختلف باختلاف الزمان و المكان و الشعوب و الاوطان ، و مظاهر الفوز و الخسران ، و السعادة و الحرمان ، فقال غير مبال بما يعتقد به البشر من نجاح الحكام و الملوك ، و الطامحين المغامرين في عصرهم : « فاصبر ، إن العاقبة للمتقين »^٢ و قال : « و قل جاء الحق و زهق الباطل ، إن الباطل كان زهوقاً »^٣ .

بالعكس من ذلك العرب رغم جميع العلل و مواضع الضعف ، و الطوارئ التي تحدثنا عنها في مقالاتنا و محاضراتنا السابقة في صراحة ليست فوقها صراحة ، ما زالوا و لا يزالون أصحاب دعوة إنسانية عامة و رسالة عالمية آفاقية ، و الدين الاسلامي الذي أكرمهم الله بالسبق فيه و الدعوة إليه ، حق مشاع و ثروة مشتركة لجميع الأمم و الشعوب ، و العناصر

(١) سورة فاطر : ١٠

(٢) سورة هود : ٤٩

(٣) سورة الاسراء : ٨١

و الاجتناس ، و الاسر و البيوتات ، و البلاد و الاوطان ، ليس فيه احتكار مثل احتكار بني لاوى من اليهود أو البراهمة من الهنود ، لا يتميز فيها شعب عن شعب ، و لا نسل عن نسل ليس الاعتماد فيها على العرق و الدم ، بل الاعتماد فيها على الحرص و الشوق ، و حسن التلقى و زيادة التقدير ، و التفوق في الجهاد و الاجتهاد ، و قد روى الامام أحمد بن حنبل بسنده عن النبي ﷺ أنه قال : « لو كان العلم بالثريا لتناوله أناس من أبناء فارس » ، و قد دان العرب في جميع عصورهم لكل من برز في العلوم الدينية و تفوق فيها ، و أقرؤا لهم بالامامة و الزعامة فيها ، و خاعوا عليهم من الذعوت و الالقباب ما لم يخاعوها على كثير من برع في هذه العلوم من العرب ، فلقبوا الامام محمد بن إسماعيل (ابن إبراهيم بن مغيرة بن بردزبه) الجعفي البخارى ، صاحب الجامع الصحيح (٥٢٥٦م) بأمر المؤمنين في الحديث ، و قالوا عن كتابه أنه أصح كتاب بعد كتاب الله ، و لقبوا الامام أبا المعالى عبد الملك الجويني

(١) مستد امام أحمد ج ٢ ص : ٢٩٦

النيسابورى (٥٤٧٨م) بامام الحرمين ، ولقبوا الامام ابا حامد
 محمد بن محمد الغزالى الطوسى (م ٥٥٠٥) بحجة الاسلام ،
 و قد كان الموالى و أبناء العجم هم زعماء العلم و مراجع
 المسلمين فى جميع عواصم المملكة الاسلامية الواسعة فى آخر
 القرن الاول الهجرى ، قد انتهت إليهم رئاسة العلم و الفتيا ،
 و الفقه و الحديث ، و هى قصة معروفة فى جميع كتب
 الطبقات و السير و التراجم ، و تاريخ الحضارة الاسلامية ،
 و اطرده ذلك فى العصور الاسلامية الذهبية التى ساد فيها
 العرب حتى قال نابغة العرب العلامة عبد الرحمن بن خلدون
 المغربى (٥٨٠٨م) : « من الغريب الواقع أن حملة العلم فى
 الملة الاسلامية أكثرهم العجم ، لامن العلوم الشرعية ولا من
 العلوم العقلية إلا فى القليل النادر ، مع أن الملة عريضة
 و صاحب شريعتها عربى فكان صاحب صناعة النحو
 سيويه ، و الفارسى من بعده ، و الزجاج من بعدهما :
 و كلهم عجم فى أنسابهم ، و كذا حملة الحديث و علماء
 أصول الفقه ، و حملة علم الكلام و أكثر

والعرب بفطرتهم التي فطرهم الله عليها من أقرب الأمم والشعوب إلى قبول مبدى المساواة الانسانية واحترام النوع البشرى ، و أنشطها فى تطبيق هذا المبدى والعمل به ، قد حملوه معهم فى فتوحهم الواسعة ، و زحفهم المبارك ، الذى فتح للعالم آفاقاً جديدة فى العلم و المدنية ، و الفضيلة و التقوى ، حتى أحببتهم الشعوب المفتوحة — و قد عرفت فى التجربة و بدهامة العقل بينض الفاتحين ، و غلا بعض الغلاة الوثنيين من مشركى السند و الملتان فى شبه القارة الهندية فى القرن الأول الاسلامى ، فصنعت لمحمد بن القاسم الثقفى ، الفاتح العربى ، تماثيل ، أضاقها إلى تماثيلها القديمة حباً و إجلالاً ، و كانت المعاملة الرقيقة الغربية التى عامل بها الخليفة ، عمر بن عبد العزيز أهل سمرقند المفتوحين ، سبباً لحب الفاتحين ، و انتشار الاسلام بسرعة غريبة فى هذه

(١) مقدمة ابن خلدون : المطبعة لجمعية المصرية ص ٤٠

البلاد بخلاف البلاد التي فتحها غير العرب - قاطبة
 في الاسلام ، واعتنقت الحضارة الاسلامية ، و تكلمت
 باللغة العربية ، و فضلت الفاتحين الأجانب و ما حملوه معهم
 من أخلاق وعادات ، و شرائع وقوانين ، ولغات ولهجات
 على ما توارثتها من أحقاب طويلة ، و أجيال متواصلة ،
 و تكون منها هذا العالم العربي الذي نتحدث عنه ، ولا تزال
 كلمة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب التي قالها لأحد قادته
 الكبار ، يتردد صداها في الآذان و القلوب ، و في
 صفحات التاريخ : « من متى استعبدتم الناس و قد ولدتهم
 أمهاتهم أحراراً » .

و قد كانوا في جاهليتهم و في إسلامهم من أبعد الأمم
 بحكم الفطرة و النشأة و المثل العليا التي كانوا يدينون بها ،
 عن طبيعة المؤامرات ، و التكتم و السرية ، و الدسيسة
 و النفاق ، فكانوا أعداءً جهاراً و علانية ، و كانوا أصدقاء

(١) جاء في فتوح البلدان للبلاذرى ، ص ٤٢٨ :

« قال أبو عبيدة وغيره لما استخلف عمر بن عبد العزيز و قد عليه قوم ★

جهازاً وعلانية ، و كانوا إذا حاربوا حاربوا في الميدان ،
و إذا صالحوا صالحوا عن إعلان ، دل على ذلك شعرهم
و أديهم ، و وصاياهم و حكمهم ، و أمثالهم و أيامهم في
الجاهلية و الاسلام ، و لم يكن النفاق من طبيعتهم الاصلية ،
ولذلك يكاد المفسرون يتفقون على أنه لا نفاق في مكة ،
لأنها بيئة عربية خالصة ، لا تشوبها شوائب اليهودية
و العناصر الدخيلة ، و على أن جميع الآيات التي جاء فيها
ذكر النفاق و المنافقين مدنية ، و قد استدل لذلك بعض
المفسرين و الاصوليين بقوله تعالى في سورة البراءة : و من
حولكم من الاعراب منافقون ، و من أهل المدينة مردوا

★ من أهل سمرقند فرغموا إليه أن قتية دخل مدينتهم و أسكنها المسلمين على
غدر فكتب عمر إلى عامله يأمره أن ينصب لهم قاضياً ينظر فيما ذكروا فان
قضى باخراج المسلمين أخرجوا ، فصب لهم جميع بن حاضر الهاجى لحكم
باخراج المسلمين على أن يباذروهم على سواء ، فكره أهل مدينة سمرقند
الحرب و أقروا المسلمين فأقاموا بين أظهرهم و كان ذلك بعد ما مضى على
فتح سمرقند سبع سنوات .

(١) سبق لكاتب هذه السطور ، مقال في هذا الموضوع نشرته صحيفة «الفتح»
الغراء اصاحبها محب الدين الخطيب سنة ٢٢ أو ٢٣ م

على النفاق ،^١ فلا خطر على العالم و على الرقعة التي يحكمها العرب ، و على الشعوب و الأمم التي يقودونها ، و على المدنيات و المؤسسات التي يوجهونها ، و على السياسة التي يلعبون فيها الدور الحاسم ، من مؤامرة سرية ، و من دسائس خفية ، و من النفاق في الاخلاق ، و من الافساد بين الطوائف و الطبقات ، و من خلق المشاكل و الازمات ، لمصلحة قومية و أنانية فردية أو جماعية ، إنما هي قيادة واضحة حاسمة ، و سياسة ظاهرها و باطنها سواء ، و حكم يعدل مع القريب و البعيد ، و الشرقى و الغربى ، و العجمى و العربى .

أما هذه القومية المتطرفة ، و العنصرية الجاهلية ، التي أتليت بها بعض الجماعات العربية ، و تزعمتها بعض القيادات فى العهد الاخير لاسباب ليس هذا محل شرحها ، فهى طارئة دخيلة ، لا تنسجم مع الطبيعة العربية الاسلامية الاصلية ، و هى تشور عليها فى أول فرصة ، و تعود إلى أصلاتها القديمة ، و إلى إيمانها الذى امتزج بلحمها و دمها ،

(١) سورة البراءة ١٠١

و تغفل في أحشائها ، بقوله تعالى : « إن أكرمكم عند الله أتقاكم » ، و بقول الرسول الأعظم ﷺ : « . . . الناس بنو آدم و آدم خلق من تراب ، لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى » . ٢٥ .

و إذا كان الاسلام رسالة الله الأخيرة الخالدة التي تكفل الله ببقائها و خلودها ، و إذا كان القرآن هو الكتاب السماوي الأخير الخالد الذي ضمن الله ببقائه و حفظه ، و لا بقاء للاسلام و لا للمسلمين (كأمة ذات عقيدة و شخصية و قانون و شريعة ، و دعوة و رسالة) بغيره ، و كل ذلك مكفول مضمون ، و قد قال الله تعالى : « إنا نحن نزلنا الذكر و إنا له لحافظون » ٢٦ كان بقاء العرب مضموناً مكفولاً كذلك ، فلا بقاء للقرآن بغير اللغة العربية و لا بقاء للغة العربية بغير أهلها ، فإن كل ذلك لا يقوم في الفضاء ، و ليس من المعقول و لا من اللائق بحكمة الله تعالى أن يبقى

(١) سورة الحجرات : ١٣

(٢) رواه الترمذي وغيره عن النبي صلى الله عليه و سلم .

(٣) سورة الحجر : ٩

هذا الكتاب الخالد العالمى لقرأ لا يفهمه أحد ، أو محتموا
لا يستطيع أحد أن يفرض هذا الحتم ويستفيد به ، أو يبق
أثراً تاريخياً فى المتاحف و المستودعات ، قد اندرست لغته
كما اندرست الهيروغليفيه أو الفينيقية أو الحيرية ، و تعالى الله
عن أن يسمى ذلك حفظاً و صيانة ، و فضلاً و كرامة ،
و يمن بها على الأمة و على الانسانية التى لا تزال تستمد منه
القوة و الحيوية ، و تسير فى ضوئه فى كل عصر و جيل ،
و ليس من الحكمة أن يعيش العرب مستعبدين ، أذلاء
صاغرين ، و يفقدون كل حول و طول ، و كل وسيلة لتوجيه
البشرية و قيادة الانسانية ، و تصبح هذه المنطقة التى أشرقت
منها شمس الاسلام ، و انطلقت منها موجة المد الاسلامى
فى الآفاق ، و ارتبط بها تاريخ الاسلام و المسلمين ، هذا
الارتباط الوثيق الذى لا مثيل له فى تاريخ الديانات ، و فيها
هذا البيت العتيق الذى جعله الله مثابة للناس و أمناً ، و مراح
الآرواح ، و مهوى الأفتدة ، و مدينة الرسول التى هى
مهبط الوحي ، و ظمير الاسلام ، و مصنع التاريخ ، فلا بقاء

للإسلام والمسلمين - ولو قامت لهم ألف دولة وارتفع لهم ألف علم - ولا شرف لهم ولا كرامة ، ولا هدوء لهم ولا راحة ، إذا ذل العرب ، وفقدوا هذه المنطقة التي فيها مقدساتهم ، وهي معقل الإسلام ، ومصدره ومأزره ، ولذلك جاء في بعض كلمات مأثورة : « إذا ذل العرب ، ذل الإسلام » .

ولذلك كانت هذه الأوضاع غير الطبيعية ، غير صالحة للبقاء والاستمرار ، تعارضها الفطرة البشرية والعقل المستقيم ، والمنطق السليم ، وطابع الأشياء ، والحقائق الراهنة ، والظروف المحيطة ، والنصوص الدينية ، والوعود الإلهية ، والتاريخ والجغرافية ، والسياسة الحكيمة التي لم تفقد رشدها ولم تجن جنونها ، وإذا بقيت مدة قصيرة ، فهي مدة طويلة

(١) أما السياسة الخرقاء العمياء التي تتبعها أمريكا وروسيا إزاء العرب ، فهي سياسة تقليدية عالية من كل ذكاء وابتكار ، وجرأة خافية أو حياء وإنسانية ، خاصة للنفوذ اليهودي ، ومؤسسة على «السكرتارية» القبية ، والأوراق والملفات القديمة ، غير مبنية على الحقائق ، ومثل هذه السياسة والاتجاهات لا تنشأ إلا عندما يصب الحكومات الهرم والشينوخة ، وينق أبوها لروال القريب .

بالنسبة إلى حكم الوضع و طبيعة الأشياء و بدهاة العقل .
و بعد فان انتصار الصهيونية في هذه الفترة التي يمر
بها العالم العربي و الاسلامي الآن ، و تحقيق بعض أهدافها
و مخططاتها في الاستيلاء على هذه المنطقة العربية الاسلامية ،
لم يكن انتصار رسالة على رسالة ، و لا انتصار أمة على أمة ،
و لا انتصار دين على دين ، و لا انتصار حق على باطل ،
فان اليهود ليست لهم أى رسالة في هذا العصر ، و لم تكن
هنالك معركة بين اليهود و الأمة الاسلامية ، أو الشعوب
العربية ، فانه لم يسمح لهذه الأمة و لا لهذه الشعوب أن
تحوض في هذه المعركة ، و تبرز جدارتها و كرامتها ، و لم
يسمح للاسلام بالخوض في حرب حزيران ١٩٦٨م بل عزل
عن الميدان ، و أقصى عن ساحة الحرب بتصميم و إرادة ،
إن جل ما هنالك أنه انتصار أقدر قيادة على أخيب قيادة ،
و قد كان من سعادة اليهود أن تهيأت لهم قيادة بعد آلاف
من السنين ، غسلت عنهم العار الذي رافقهم عبر القرون ،
و في رحلتهم الطويلة ، و صنعت لهم تاريخاً جديداً ، و كان
من نكبة المسلمين و العرب أن ابتلوا - لأسباب شرحناها

فى الفصول الأولى من كتابنا ، ما قبل النكبة و ما بعدها ، -
 بقيادة جنت عليهم و على تاريخهم الجناية الكبيرة ، و ورطتهم
 فى مازق لا متقدم فيه و لا متأخر .
 و لكن قضية القيادة و أخطاها و جنائياتها مهما طالت ،
 فهى قضية سهلة يمكن أن تعالج ، أما قضية الرسالات ،
 و قضية جدارة الأمم و صلاحيتها للبقاء ، و استحقاقها للنصر ،
 و قضية عسيرة معقدة ، فلا يسهل إبدال رسالة برسالة ،
 و لا يسهل نفع روح فى جثة هامة ، و الأمة العربية
 الإسلامية لا تحتاج إلى رسالة جديدة ، و لا إلى دين جديد ،
 و لا إلى بعث و إحياء ، فانها هى الأمة الزاهرة بالحياة
 و القوة ، المستعدة للانتفاض فى كل وقت ، أما القيادات
 فهى كأمواج نهر دافق جار ، تأتى و تذهب ، و تغدو
 و تروح ، و ترفع رأسها و تثبت وجودها ، و قد تفرق
 بعض السفن ، و تحطم بعض القوارب ، و لكنها تغيب فى
 وجود النهر الخالد الكبير ، و توارى فى هذا الخضم المائج ،
 و النهر ذلك النهر ، لا يفقد اسمه و لا وجوده و لا شخصيته .

و قد شهد التاريخ الاسلامى أمواجاً من هذا النوع ،
ارتفعت حتى وصلت إلى عنان السماء ، ثم نامت في مهد
هذا البحر اللجى و فى أعماقه ، فقامت حكومات و طويت
حكومات ، و جاءت قيادات و ذهبت قيادات ، و الاسلام
هو الاسلام ، و الأمة هى الأمة ، و الرسالة هى الرسالة ،
و الكتاب هو الكتاب ، و الايمان هو الايمان .

و هكذا النكبات و الكوارث ، و حوادث التراجع
و الانتكاس تجارب طبيعية تمر بها الأمم الحية النامية ،
الدايقة بالحياة ، و نحن تمحص بها و تصهر لتبلغ النضج
و الاكتمال ، و تعود اليسر و العسر ، و السراء و الضراء ،
و لا تبطر عند الفتح ، و لا تيش عند الهزيمة : و لكيلا
تأسوا على ما فاتكم و لا تقرحوا بما آتاكم ، كالجسم الحى
الناسى الذى لا يعتمد على حيويته و قوة مقاومته ، حتى يمر
بمراحل مختلفة من الصحة و المرض ، و القوة و الضعف ،
و اختلاف الأجواء و المناخات ، و تنوع الفصول

(١) سورة الحديد : ٢٣

و الطقوس ، فيحتمل كل ذلك و يتمرن عليه ، و العودة
إلى الصحة مضمونة للجسم السليم القوى ، و الانتصار مكفول
إصاحب الرسالة الفاضلة ، المفيدة للبشرية ، و الصفات الكريمة
العائدة بالخير على الجميع ، وصدق الله العظيم : « قد خلقت
من قبلكم سنن ، فسيروا في الأرض ، فانظروا كيف كان
عاقبة المكذبين ، هذا بيان للناس و هدى و موعظة
للتقين ، و لا تهزوا و لا تحزنوا و أتم الاعلون إن كنتم
مؤمنين ، إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله ، و تلك
الأيام نداولها بين الناس ، و يعلم الله الذين آمنوا و يتخذ منكم
شهداء ، و الله لا يحب الظالمين ، و ليمحص الله الذين آمنوا
و يمحق الكافرين » ١ .



(١) سورة آل عمران : ١٣٧ - ١٤١

وللمؤلف صدر حديثاً :

المُنْتَصَى

سيرة أمير المؤمنين: سيدنا أبي الحسن علي بن أبي طالب - رضي الله عنه وكرّم وجهه - في إطار قبلي وشخصي وجماعي، ومبدئي وإداري. وفي ضوء دراسة تاريخية مقارنة محايدة، لما امتاز به من خصائص ومواهب وعبريات، وتعاون جاد مخلص مع مَنْ سبقه في تولي الخلافة، في صالح الإسلام والمسلمين، والسّر في ما قدّره الله وحققه من توالي الخلفاء الراشدين بعضهم على إثر بعض، مع بيان جهود عظماء فريته في قيادة المسلمين، ومحاولة تغيير صالح في منهج الحكم والإمارة، وإعادة إلى منهج الخلافة الراشدة، ودورهم الرائع البطولي في بلاد الإسلام وفي قرون مختلفة، في نشر الإسلام، وتزكية النفوس، وإصلاح المجتمع، وقيادة الحركات الجهادية والتحريرية في مختلف الأمكنة والأزمنة، مع نقد النظريات الدخيلة على الإسلام وتفنيد نسبتها إلى أهل البيت، واستغلالها لغايات مذهبية طائفية سياسية.

ملتمن النشر والتوزيع

المجمع الإسلامي العلمي

نقطة العلماء، ص. ١٠٦، ١١٩ لعناتق الهند